هو في كتاب سيبويه وأثرها عند النحاة

أ.م.د. نجاح صابر فاهم
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

كتاب سيبويه يُعدّ الكتاب الأول والأخير في النّحو والصّرف، فهو سجلٌ لقواعد العربيّة، فوقف العلماء عنده، ولم يزيدوا عليه، وكلّ مَن جاء بعده جعل الكتاب أساس دراسته، ووقف عند حدّ الشرح أو الاختصار، ولم يزد المتأخرون عليه إلا القليل، فقال المازنيّ (ت249هـ) :« مَن أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النّحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ.»[1]، وقال الجاحظ (ت255هـ) : «لم يكتب النّاس في النّحو كتابًا مثله، وجميع ما كتب النّاس عليه عيال»[2]، وأوضح الأستاذ علي النجديّ أن كتاب سيبويه «هو هذا السفر العظيم الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثرًا وأرسله مع الأيام ذكرًا وادّخره للعربيّة كنزًا وندبه في العالمين شاهدًا على براعته فيها، ونفاده إلى أسرارها وإمامته في الاشتراع لها وضبط أصولها، على نحو يَعِزُّ نظيره في الأولين والآخرين : شمول إحاطة، وبراعة أستاذية، وسلامة تحليل، وصدق نظر، وصحة حكم»[3].

هذا البحث كان أحد ثمار محاضرات التي ألقيتها على طلبة الدكتوراه• في مادة (قراءة في نص نحويّ قديم) فاختير كتاب سيبويه لهذه القراءة.

تناول البحث طبيعة (هو هو) في كتاب سيبويه، وتتبعها عند علماء النحو، احتلت مجالا واسعًا في الكتاب، فسّر بها سيبويه طائفة من العلاقات المتعلقة بالمبني والمبني عليه (المبتدأ والخبر)، وبين الصفة والموصوف، وبين البدل والمبدل منه، والمفعول المطلق وعامله، والحال وصاحبه، وقد جعلها الدكتور محمد كاظم البكاء في ضمن العلاقات التي تربط العامل والمعمول، التي تؤثر تأثيرًا واضحًا في بناء التركيب اللغوي، وهذه العلاقات حددها على النحو الآتي[4] :

أ- علاقة التفرغ أو الاشتغال.

ب-علاقة التعدي.

ت-علاقة التطابق (هو هو).

ث-علاقة الخلاف (عشرون درهمًا).

ج-علاقة الإضافة.

ح-العلاقة الصوتية (التنوين، إطالة الكلام، العمل على الجوار).

فيتضح من تحديد هذه العلاقات أنّ تركيب (هو هو) دالٌّ على علاقة تطابق بين العامل والمعمول من وجهة العمل النحوي، غير أنه الذي يتأمل في قراءة نصوص كتاب سيبويه التي وردت فيها هذه الظاهرة يجد حقيقة غير ما ذهب إليها أستاذنا الدكتورمحمد كاظم البكاء في توجيهه لـ(هو هو)، وإنما هي علاقة تطابق نوعي أو جنسي التي تربط بين المبني والمبني عليه، والدليل على هذا أن سيبويه نفسه أطلق درجات لهذا التطابق، فإذا كان التطابق بين المبني والمبني عليه كليا أي الاتحاد بالنوع أو بالجنس أطلق عليه (هو هو)، وإذا كان التطابق بين المبني والمبني عليه جزئيا أي علامة التشابه أو علاقة وصفية فأطلق عليه سيبويه (الآخر هو الأول)، وإذا كانت علاقة التطابق تفرغا بين المبني والمبني عليه، أطلق

---

[1]. أخبار النحويين، لأبي سعيد السّيرافيّ : 39.

[2]. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين الأربلي : 3/ 463.

[3]. سيبويه إمام النّحاة، الأستاذ علي النجديّ : 123.

• محاضرات ألقيتها على طلبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية / كلية التربيّة للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء للعام الدراسي 2012/2011م.

[4]. ينظر : منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء : 255.

عليها سيبويه (الآخر الأول)، وعلى وفق هذا عالج البحث هذه الظاهرة في كتاب سيبويه وأثرها عند النحاة، فقسم البحث على مطالبين :

المطلب الأول: هو هو في كتاب سيبويه.

المطلب الآخر: هو هو عند النحويين كالمبرد(ت285هـ)، وابن السراج(316هـ)، وابن جني(ت392هـ)، وابن هشام الأنصاري (ت761هـ) وغيرهم.

واعتمد البحث على مصادر ومراجع متعددة، فمنها : الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، والخصائص لابن جني، والأصول في النحو لابن السراج، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري...

وقفي البحث بخاتمة سطّرت فيها أهم ما نبتغيه من كتابة هذا البحث، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

البحث يقتضي الوقوف على بيان طبيعة مفهوم (هو هو) عند اللغويين والمناطقة ؛ وذلك لتحديد هذا المفهوم الذي يسعى إليه البحث في التجوال في مناحيه عبر منظومة سيبويه.

هُوّ هُوّ في اللغة : فـ(هُو) كِنايَةٌ عَن الواحِدِ المُذكَّرِ، أوضح الكسائي (ت189هـ) أنّ أَصْلَه أَن يكونَ على ثلاثَةِ أَحْرُفٍ مِثْل (أَنتَ)، فيقالُ: هُوَّ فَعَلَ ذلكَ، ومِن العربِ مَنْ يُخَفِّفه فيقولُ : هُوَ فَعَلَ ذلكَ، وحكَى الكِسائي عَن بَني أَسَدٍ وتمِيمٍ وَقيس هُوْ فَعَلَ ذلكَ بإسْكانِ الواو[1].

واختلف البصريون والكوفيون في تركيب (هُو)، فذهب البصريون إلى أنّ الهاء والواو هو الاسم بمجموعهما، ودليلهم أنّ الكلمة على تبنى على حرفٍ واحدٍ، فلا بدّ من حرفٍ يبتدئ به، وحرفٍ يوقف عليه ؛ فلو كان الاسم (هُو) متكونًا من هاءٍ وحدها ؛ لكان يؤدِّي إلى أن يكون الحرف الواحد ساكنًا متحركًا، وذلك محالٌ؛ فوجب ألّا تكون الهاء وحدها هي الاسم.

أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّ الاسم (هُو) متكونٌ من الهاء وحدها من غير الواو ؛ لأنّه لو كانت الواو أصلًا ؛ لِما حذفت في التثنية، في نحو : هما، فضلًا عن استدلالهم بالدّليل الشعريّ على أنّ الواو تحذف في حالة الإفراد وتبقى الهاء وحدها.

فردّ البصريون ما ذهب إليه الكوفيون فذكروا أن قولهم الواو (هو) تحذف في التثنية ، فهذا غير صحيح ؛ لأنّ صيغة (هما) في التثنية من (هو) ليست بتثنية على حدّ قولك : في زيدٍ زيدان وعمرو عمران، وإنما هما صيغة مرتجلة للتثنية كـ(أنتما)، ألا ترى أنه لو كان تثنية على حدّ قولهم : زيدان، وعمران ؛ لقالوا في تثنية هو (هُوانِ)، وفي تثنية أنت (أنتان)[2]، وبعد هذا العرض أرجح أنّ صيغة (هو) من الصيغ المرتجلة التي نقلت ألينا، فليس هناك دليل واضح على تركيبها واشتقاقها، فربّ في قابل الأيام يكشف لنا التطور اللغوي التاريخي حقيقة تركيب صيغة (هو).

وفي اللغة يقال : عين الشيء نفسه أو ذاته، أي : هو هو عينًا، أو هو هو بعينه[3].

فهو هو في اللغة تعني وسيلة مطابقة بين الشيء ونفسه أو صفته، أو قريبة من صفته.

أما عند المناطقة فدلالتها لا تختلف في ما هو عند اللغويين، فقد استعمل المناطقة هذا التركيب للدلالة على لفظة الهُوِيَّة التي تُطلق على معانٍ ثَلَاثَة: التشخص، والشخص نَفسه، والوجود الْخَارِجِي، أي: مَا بِهِ الشَّيْء هُوَ هُوَ بِاعْتِبَار تحَققه يُسمى حَقِيقَة وذاتاً، وَبِاعْتِبَار تشخصه يُسمى هوية، وَإِذا أَخذ أَعم من هَذَا الِاعْتِبَار يُسمى مَاهِيَّة، وَقد يُسمى مَا بِهِ الشَّيْء هُوَ هُوَ مَاهِيَّة إِذا كَانَ كلياً كماهية الْإِنْسَان، وهوية إِذا كَانَ جزئياً كحقيقة زيد[4].

---

[1]. ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : للسيّد مرتضى الزبيدي : 40/ 540.

[2]. ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الانباري : 555/2 وما بعدها (المسألة 96).

[3]. ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري : 2170/6، ولسان العرب لابن منظور : 305/13.

[4]. ينظر : الكليات، لأبي البقاء الكفوي : 961.

فقال السيّد الشريف الجرجانيّ (ت817هـ) في تعريفه (حقيقة الشيء) : « ما به الشيء هو هو، كالحيوان الناطق للإنسان، بخلاف الضاحك، والكاتب، ممّا يمكن تصورالانسان بدونه، وقد يقال : إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه : حقيقة، وبامتياز تشخصه: هوية ومع قطع النّظر عن ذلك : ماهية »[1].

فتركيب هو هو دلّ على حقيقة الشيء من جهة الخارج، وكذلك أشار السيد الجرجاني إلى أن ماهيّة الشيء تدل على هو هو الشيء، إذ قال: «ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي هي لا موجودة، ولا معدومة، ولا كلي، ولا جزئي، ولا خاص، ولا عام»[2]، وألّف الْحُسَيْن بن مَنْصُور الحلاج الْبَغْدَادِيّ الصوفيّ توفي مصلوبا بِبَغْدَاد سنة (ت309هـ) كتابًا عنوانه (كتاب هُوَ هُوَ)[3].

المطلب الأول : هو هو في كتاب سيبويه :

الذي يدقق النظر في المدونة اللغوية العربية يجد أن تركيب هو هو احتلّ مجالا واسعًا في كتاب سيبويه، فسّر بها سيبويه طائفة من العلاقات المتعلقة بالمبني والمبني عليه (المبتدأ والخبر)، وبين الصفة والموصوف، وبين البدل والمبدل منه، والمفعول المطلق وعامله، والحال وصاحبه، ومنهجنا في البحث يقوم بتحليل النصوص التي وردت فيها هذه الظاهرة ؛ من أجل أن نقف على مضامينها وتفسيراتها، ومن النصوص التي وردت فيها هذه الظاهرة.

ففي باب الابتداء، إذ قال سيبويه: «فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليُبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبنيّ عليه رفعٌ. فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسنَد ومسنَد إليه، واعلم أنّ المبتدأ لابد له من أن يكون المبنيّ عليه شيئاً هو هو، أو يكون في مكان أو زمان. وهذه الثلاثة يُذكر كل واحدٍ منها بعد ما يُبتدأ. فأما الذي يُبنى عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق؛ ارتفع عبد الله لأنه ذُكر ليُبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبنيّ على المبتدأ بمنزلته»[4].

فالملاحظ في هذا النص أن حديث سيبويه ينقسم على قسمين : فالأول : حديثه عن مفهوم المبتدأ من حيث جنسُه وما يتركب به أي ما يبنى عليه من كلام، ويبّن الحكم النحوي للمبني والمبني عليه (المبتدأ والخبر)، ثم يوضح العلاقة بين المبتدأ والخبر فهي علاقة تلازمية بنائية فيفسر هذه العلاقة سيبويه بمسميات البناء (المبني والمبني عليه)، وهنا عند سيبويه المبني هو المبتدأ، والمبني عليه هو الخبر، فضلا عن أن سيبويه نظر إلى مسألة المسند والمسند إليه من جهة كلام المتكلم، فالمسند عنده (المبتدأ) والمسند إليه هو (الخبر) فهذا منحى وظيفي من جهة استعمال المتكلم، أما النحويون الذين جاؤوا بعد سيبويه فعكسوا هذه المسألة ؛ لأنهم نظروا إلى مسألة بمنحى تركيبي، فأصبح المسند إليه هو (المبتدأ) والخبر هو (المسند).

أما القسم الآخر: الذي تحدث عنه سيبويه فهو أنماط المبني عليه (الخبر)، وهي في ما يأتي :

أ- **المبتدأ + المبني عليه (هو هو)، نحو : عبد الله منطلق.**

وهنا سيبويه تحدث عن عامل الرفع في هذا النمط، إذ قال :« إن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق؛ ارتفع عبد الله لأنه ذُكر ليُبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبنيّ على المبتدأ بمنزلته»[5].

الذي يتضح من هذا أنّ عامل الابتداء هو الذي رفع المبتدأ، والمبتدأ يرفع الخبر، وهذا دلالة صريحة بمذهب سيبويه في عامل الرفع للمبتدأ والخبر، وجمهور البصريين اتبعوا هذا المذهب في ما بعد.

---

[1]. التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني : 74.

[2]. المصدر نفسه : 161.

[3]. ينظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن أحمد البغدادي : 1/304-305.

[4]. كتاب سيبويه : 2/90.

[5]. المصدر نفسه والصفحة نفسها

ب- المبتدأ + المبني عليه (ظرف الزمان).

ت- المبتدأ + المبني عليه (ظرف المكان).

فسيبويه هنا كان دقيقا في وصفه علاقة المبتدأ والمبني عليه (هو هو) وبما مثّل به : عبد الله منطلق، فـ (عبد الله) مسمى معبّر عن ذات (هو)، و (منطلق) صفة الذات (هو)، أي إن كلمة (منطلق) في هذا التركيب تمثل وصفًا أو هوية (عبد الله)، و (عبد الله تمثل حقيقته كونه هو (منطلق)، والدليل على هذا أن سيبويه أوضح ذلك، إذ قال :«ا رتفع عبد الله لأنه ذُكر ليُبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبنيّ على المبتدأ بمنزلته»[1]، في هذا النص تهمنا عبارة (بمنزلته)، فالمبني عليه (منطلق) بمنزلة المبتدأ (عبد الله) من جهة كونه هو موصوف بالانطلاق، أي : إن المبني عليه هو عين المبتدأ (عبد الله)من جهة كونه منطلقا، فعندما تسأل من عبد الله ؟ فالجواب : هو منطلق، وعندما تسأل من منطلق ؟ فالجواب: هو عبد الله. وعلى وفق هذا فـ (هو هو) إحدى آليات التفسير عند سيبويه للعلاقة بين المبتدأ والمبني عليه عندما يكون المبني عليه هو المبتدأ.

و مما أوضحه سيبويه في هذا الشأن، إذ قال : « وقد زعم يونس أن ناساً يقولون: هو مني مزجرُ الكلب، يجعلونه بمنزلة مرأى ومسمع، وكذلك مقعد ومناط، يجعلونه هو الأول فيجرى، كقول الشاعر:

وأنت مكانك من وائلٍ مكانُ القراد من است الجَمل

وإنما حسن الرفع هاهنا ؛ لأنه جعل الآخر هو الأول، كقولك: له رأس رأس الحمار. و لو جعل الآخر ظرفاً جاز، ولكن الشاعر أراد أن يشبه مكانه بذلك المكان »[2].

نلاحظ في هذا النص أن سيبويه جعل القول : هو مني مزجرُ الكلب بمنزلة مرأى ومسمع، فهنا سيبويه قصد بمصطلح (المنزلة) قياسا برفع (مرأى ومسمع) في قول العرب : أنت مني مرأى ومسمعٌ، فوجه الرفع هنا ؛ لأن المتكلم أراد تشبيه الآخر (مرأى ومسمع) هو الأول، فصار بمعنى : أنت مني قريب، فتشبيه (مرأى ومسمع) تدل على القرب، ففي هذا الوجه خرج عن معنى الظرف، أما قولهم : هو مني مزجرُ الكلب، أي انه صار بمعنى : هو مني بعيدٌ، فهنا ليس أراد ظرف المكان، وإنما أراد تشبيه الأول (هو) ببعد مكان مزجر الكلب، فهنا سيبويه يلحظ استعمال المتكلم بدقة وعلى أساسه قرر الأحكام النحوية من الرفع والنصب والجرّ، فضلا عن أن سيبويه فسّر اللغة باللغة وهذا منهجه، ففسّر اللغة التي نقلها يونس بن حبيب بلغة قول العرب في (مرأى ومسمع)، وأما في تفسير سيبويه بيت الشاعر فنلاحظه أطلق عبارة (جعل الآخر هو الأول) فهنا سيبويه اكتفى بـ (هو) واحدة ؛ لأن المبني عليه ليس هو المبني (المبتدأ)، وإنما يشبه المبني فلو كان المبني عليه هو عين المبني لقال : (هو هو)، وهذا يدل على أن (مكانك) ليس في حقيقته (مكان القراد)، وإنما يشبهه.

وعلى هذا الأساس أن سيبويه كان دقيقا في وصفه هذا المصطلح، وهو من آليات التفسير للعلاقة بين المبني والمبني عليه في ضوء استعمال المتكلم.

و مما أورده سيبويه في بيان هذه الظاهرة، إذ قال : « وإن قلت: الليلةَ الهلال، واليومَ القتال نصبت، التقديم والتأخير في ذلك سواء. وإن شئت رفعت فجعلت الآخر الأول...، وتقول: عهدي به قريباً وحديثاً إذا لم تجعل الآخر هو الأول، فإن جعلت الآخر هو الأول رفعت، وإذا نصبت جعلت الحديث والقريب من الدهر»[3].

إن المتأمل في هذا النص يجد أن سيبويه أطلق عبارتين فالأولى (جعلت الآخر الأول)، مثّل لها : الليلةَ الهلالُ، واليومَ القتالُ، فلو دققنا النظر إلى العلاقة بين المبني والمبني عليه نجدها أنها علاقة احتواء ؛ لأن الليلة تحتوي الهلال، والهلال يحتوي في الليل ؛ لهذا يجوز التقديم والتأخير، فالتقدير : الليلة طلوعُ الهلال.

---

[1]. كتاب سيبويه : 90/2.

[2]. المصدر نفسه 340/1-341.

[3]. كتاب سيبويه : 342/1.

على وفق هذا فان سيبويه كان دقيقا في إطلاقه هذه العبارة ؛ لأن العلاقة بين المبني والمبني عليه علاقة احتواء لهذا لم يذكر لفظ (هو هو) للدلالة على علاقة وصف الذات نفسه، ولا (الآخر هو الأول) للدلالة على علاقة التشبيه.

أما العبارة الأخرى التي ذكرها سيبويه (الآخر هو الأول)، ومثّل لها في حالة الرفع : عهدي به قريب وحديث، فكأن المتكلم أراد وصف العهد بالقرب من مبدأ التشبيه أي صار بمنزلة : أنت مني قريب، فالعهد به ليس في حقيقته قريبا وحديثا، فالعهد شبه بالقريب والحديث ؛ لذا كان دقيقا في اصطلاحه هذا المصطلح فالآخر (المبني عليه) هو تشبيه بالأول (المبني).

وعلى وفق ما تقّدم يمكننا ترجيح ثلاث درجات للعلاقة بين المبتدأ والمبني عليه، وهي في ما يأتي :

أ- المبتدأ + المبني عليه (هو هو) = علاقة مطابقة، نحو : عبد الله منطلق.

ب- المبتدأ + المبني عليه (الآخر هو الأول) = علاقة التشابه أو الوصف، نحو : هو مني مزجرُ الكلب، وعهدي بي قريب وحديث.

ت- المبتدأ + المبني عليه (الآخر الأول) = علاقة احتواء (ظرف)، نحو : الليلةَ الهلالُ.

ومما ينص عليه سيبويه في وصف (هو هو)، إذ قال في باب (ما الرفع فيه الوجه) : « وذلك قولك : هذا صوتٌ صوتُ حمارٍ، لأنك لم تذكر فاعلاً، ولأن الآخر هو الأول حيث قلت: هذا، فالصوت هذا، ثم قلت: هو صوت حمار ؛ لأنك سمعت نهاقاً. فلا شك في رفعه، وإن شبّهت أيضاً فهو رفعٌ لأنك لم تذكر فاعلاً يفعله، وإنما ابتدأته كما تبتدئ الأسماء، فقلت: هذا، ثم بنيت عليه شيئاً هو هو، فصار كقوله: هذا رجلٌ رجلُ حربٍ.»[1].

هذا النص ينقسم حديث سيبويه على قسمين : فالأول في حال قول المتكلم (هذا صوتٌ صوت حمار)، ولم يذكر الفاعل، فالوجه الرفع ؛ لأن المتكلم أراد أن هذا الصوت يشبه صوت حمار، فأطلق سيبويه على هذا بعلاقة (الآخر هو الأول) من مبدأ التشبيه، فالمعنى يكون : هو صوت يشبه صوت حمارٍ، وأما الآخر ففي حال سمع المتكلم نهاق الحمار فقال : (هذا صوتٌ صوتُ حمار)، فأطلق سيبويه على هذا بعبارة (هو هو)، أي المعنى أن هذا الصوت هو في حقيقته صوت حمار، فهنا هذا بمنزلة هو في مطابقة التعيين، ويمكننا توضيح هذين القسمين بالمعادلتين الآتيتين :

أ- في حال سماع النهاق =المبتدأ (هذا صوت)+ المبني عليه(صوت حمار) =هو هو.

ب- في حال مشابه الصوت = المبتدأ (هذا صوت)+ المبني عليه(صوت حمار) = الآخر هو الأول.

وعلى وفق هذا فسيبويه ينطلق في تحليله النحوي من استعمال المتكلم، فاللغة عنده على وفق استعمال المتكلم وقصديته.

ومن النصوص التي أوردها سيبويه في بيان هذه الظاهرة، إذ قال : « وذلك نحو قولك: له صوتٌ صوتٌ حسنٌ؛ لأنك إنما أردت الوصف، كأنك قلت: له صوتٌ حسنٌ، وإنما ذكرت الصوت توكيداً ولم ترد أن تحمله على الفعل، لما كان صفة، وكان الآخر هو الأول، كما قلت: ما أنت إلا قائم وقاعد، حملت الآخر على أنت لما كان الآخر هو الأول. »[2].

نلاحظ أن سيبويه قصد في هذا النص نمط التركيب (الآخر هو الأول)، فالآخر (صوت حسن) لم يكن في حقيقته هو هو هذا الصوت، بل وصف لهذا الصوت، فالعلاقة بين المبتدأ والمبني عليه علاقة وصف؛ لذا عبر سيبويه عنها بـ(هو) واحدة.

وكذلك مما أوضحه سيبويه في بيان هذا الظاهرة، إذ قال: «واعلم أن الشيء يوصَف بالشيء الذي هو هو وهو من اسمه، وذلك قولك: هذا زيدٌ الطويل، ويكون هو هو وليس من اسمه كقولك: هذا زيدٌ ذاهباً، و يوصَف بالشيء الذي ليس به ولا من اسمه، كقولك: هذا درهم وزناً، لا يكون إلا نصباً»[3].

---

[1]. كتاب سيبويه : 1/ 304.

[2]. المصدر نفسه : 302/1.

[3]. كتاب سيبويه :86/2.

الذي يتبين في هذا النص أنه أطلق عبارة (هو هو وهو من اسمه) على كلمة (الطويل) في جملة (هذا زيد الطويل)، وسيبويه أراد أن يفسر العلاقة بين المبني والمبني عليه أي بين زيد والطويل، فصفة (الطويل) هي بمنزلة ذات زيد من جهة كونه طويلا أي بعبارة أخرى أصبحت الصفة بمنزلة الذات ؛ لذا عبّر عنها بـ(هو هو)، أما المقصود (وهو من اسمه) فتعني أن صفة الطول ملازمة وثابتة لزيد، فهذه الصفة لا تتغيّر ؛ لذا كان دقيقا في إطلاقه هذا المصطلح.

أما جملة (هذا زيد ذاهبا) فأطلق عليها عبارة (هو هو وليس من اسمه)، فصفة الذهاب هي بمنزلة ذات زيد من جهة كونه ذاهبا، فهنا العلاقة بين المبني والمبني عليه أي بين زيد وكونه ذاهبا علاقة مطابقة بين الصفة والذات ؛ لذا عبّر عنها سيبويه بـ (هو هو)، أما المقصود (ليس من اسمه) فصفة كون زيد ذاهبا ليست ثابتة فهي متغيرة.

أما السيرافي (ت368هـ) فقد فسّر مراد سيبويه بالاسم الذي (هو هو) أن يكون اسمان احدهما هو الآخر، ولو عبّرنا عن كلٍّ واحد منها بالآخر كان له اسمًا، والذي هو من اسمه أن يكون محمولًا على إعرابه، كقولك : هذا زيد ذاهبًا، فهو هو ؛ لأنّ زيدًا هو ذاهبٌ، وذاهبٌ هو زيدٌ[1]، فعبارة سيبويه – كما أوضحتها– فهي ذات منحى وظيفي راعى فيها استعمال المتكلم .

وبعد هذا العرض الموجز عن هذه الظاهرة في كتاب سيبويه، يتضح لنا ما يأتي :

1–أن سيبويه كان دقيقا في وصفه هذه الظاهرة و تفسير درجات التطابق بين المبني والمبني عليه.

2–أن ظاهرة (هو هو) استمد فكرتها من القياس اللغوي وطبّق بما ترتضيه طبيعة اللغة.

3–بيّن سيبويه درجات التطابق بين المبتدأ والمبني عليه، وهي في ما يأتي :

- المبتدأ + المبني عليه (هو هو) = علاقة مطابقة، نحو : عبد الله منطلق.
- المبتدأ + المبني عليه (الآخر هو الأول) = علاقة التشابه أو الوصف، نحو : هو مني مزجرُ الكلب، وعهدي بي قريب وحديث.
- المبتدأ + المبني عليه (الآخر الأول) = علاقة احتواء (ظرف)، نحو : الليلةَ الهلالُ.

4–أوضح سيبويه درجات التطابق بين المنعوت والنعت، وهي ما يأتي :

–المبني (الذات) + المبني عليه (وصف ثابت غير متغيّر) = هو هو هو.

–المبني (الذات) + المبني عليه(وصف متغيّر بمنزلة الذات نفسه) = هو هو.

5–أن نحو سيبويه نحو علمي، أما النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه فكان نحوهم تعليميا.

6–منهج سيبويه يفسّر اللغة باللغة ؛ لذا كثرت عنده آليات التفسير في مفهومات مثلا : (المنزلة، وأجري مجرى، كما قالت العرب، وقع موقع، في موضع، كأنك قلت وكأنه يقول، وهذا تمثيل لم يتكلم به).

7–نظر سيبويه إلى اللغة من حيث استعمال المتكلم ؛ لذا نقول إن نحو سيبويه نحو وظيفي، أما النحاة الذين جاءوا بعده فنظروا إلى اللغة من خلال التركيب.

المطلب الآخر: أثر (هو هو) عند النحويين :

استعمل المبرّد بعد سيبويه هذا التركيب للدلالة على التطابق كأنّه يدل على التفسير إذ قال: في باب (هَذَا بَاب مَا كَانَ من أفعل نعتا يصلح فِيهِ التأويلان جَمِيعًا): «فَمن ذَلِك أجدل، وأخيل الأجود فيهمَا أَن يَكُونَا اسْمَيْنِ؛ لِأَن الأجدل إِنَّمَا يدل على الصَّقْر بِعَيْنِه، والأخيل أَيْضا: اسْم طَائِر فَإِن قَالَ قَائِل: إِن (أجدل) إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذ من الجدل وهى شدَّة الْخلق، وأخيل إِنَّمَا هُوَ هُوَ أفعل مَأْخُوذ من الخيلان»[2].

[1]. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافيّ : 7/ 51.

[2]. المقتضب، للمبرد : 339/3.

في هذا النّص يشير المبرّد في استعمال (هو هو) إلى دلالة التطابق بين مبنى الكلمة وما اشتق منه، فتوسع المبرّد في علاقة التطابق، انتقلت هنا من مستوى علاقة التطابق بين المبني والمبني عليه في النحو إلى استعمالها في تطابق البناء الصّرفي.

كذلك استعمل المبرّد هذا التركيب التفسيريّ في (بَاب من إِعْمَال الأول وَالثَّانِي وهما الفعلان اللَّذَان يعْطف أَحدهمَا على الآخر)، إذ قال: «وتقول:ظَنَنْت أَو قلت زيد منطلق إِذا أعملت الآخر لِأَن قلت إِنَّمَا يَقع بعْدهَا الْحِكَايَة إِذا كَانَت جملَة نَحْو الِابْتِدَاء وَالْخَبَر وَمَا أشبه ذَلِك، إِن أعملت الأول قلت ظَنَنْت أَو قلت هُوَ هُوَ زيدا مُنْطَلقًا تجْعَل هُوَ ابْتِدَاء وَخَبره هُوَ الثَّانِي وهما ضمير زيد منطلق إِلَّا أَنَّك رفعتهما لِأَنَّهُمَا بعد قلت فَصَارَت حِكَايَة ألا ترى أَنَّك تَقول قَالَ زيد عَمْرو أَخُوك وَقلت قَامَ عبد الله.»[1].

ففي هذا النّص اقتفى المبرّد أثر سيبويه تفسير العلاقة التطابقية بين المبني والمبني عليه (زيد منطلق) فعبّر عنهما بـ(هو هو)، فعند تقول : من زيد؟ فالجواب : هو منطلق، وتقول : من المنطلق ؟ فالجواب : هو زيد.

[2]قال ابن السراج (ت318هـ)، في موضوع حذف المبتدأ والخبر في حالة معرفة المخاطب، إذ قال: «وإما أن يكون المحذوف شيئا ليس فيه راجع ولكنه متصل بالكلام نحو قولك : الكر بستين درهماً فأمسكت عن ذكر الدرهم بعد ذكر الستين لعلم المخاطب، وتعتبر خبراً لمبتدأ بأنك متى سألت عن الخبر جاز أن يجاب بالمبتدأ لأنه يرجع إلى أنه هو هو في المعنى. ألا ترى أن القائل إذا قال : عمرو منطلق فقلت : من المنطلق قال : عمرو، وكذلك إذا قال : عبد الله أخوك فقلت : من أخوك قال : عبد الله، وكذلك لو قال : عبد الله قامت جاريته في دار أخيه فقلت : من الذي قامت جاريته في دار أخيه لقال : عبد الله».

هنا ابن السراج اقتفى أثر سيبويه في تفسير ظاهرة (هو هو)، ففي هذا النص أوضحت (هو هو) لتفسير العلاقة بين المبني والمبني عليه، كان التطابق كليًا جنسي (النوع)، فجملة (الكر بستين درهما) فهنا المبتدأ (الكر) مكيال عند أهل العراق مقداره ستون قفيزا هو مطابق بالعدد مع المبني عليه (بستين)، فالخبر هو نفس عدد المبتدأ، فمتى يسأل عن المبتدأ يجاب بالخبر، ومتى يسأل عن الخبر يجاب بالمبتدأ؛ لذا عبّر ابن السراج عنها بمصطلح (هو هو) أي المبتدأ في المعني هو الخبر، الخبر بمعنى هو المبتدأ.

وهذا ينطبق على الجمل التي ذكرها ابن السراج لتفسير مصطلح (هو هو) كجملة (عمرو منطلق)، وجملة (عبد الله أخوك)، وجملة (عبد الله قامت جاريته في دار أخيه)، ففي هذه الجمل المبتدأ هو معنى المبني عليه (الخبر)، المبني عليه (الخبر) هو في معنى المبتدأ، فهنا تطابق بالنوع (الجنس) بين المبتل والخبر.

ومما أوضحه ابن السراج في بيان هذه الظاهرة، إذ قال في موضوع الاستثناء :«أنك لو قلت : قل زيد إلا زيد لم يجز لأنك لا تستثني واحداً من واحد هو هو»[3].

ففي هذا النص أوضح العلاقة بين المستثنى والمستثنى منه، فابن السراج لم يجز هنا أن يستثنى الواحد من الواحد نفسه ؛ لأن مفهوم الاستثناء يعنى إخراج الشيء من الأشياء ؛ لذا عبّر ابن السراج بمصطلح (هو هو)، أي فأراد أن يوضح أنه لا يجوز أن يستثني الواحد من الواحد إذا كان بمنزلة هو هو.

«فيقولون إذا قلتَ : (قامَ زيدٌ) كيف تخبر عن زيدٍ بالذي وبالألفَ واللام فيكون الجواب : (الذي قامَ زيدٌ والقائمُ زيدٌ (فتكون) الذي مبتدأٌ وقامَ صلتهُ وفيه ضمير يرجع إليه وبه تمَّ، وهو في المعنى : (زيدٌ) لأنَّ الضمير هو الذي والذي هو زيدٌ فهو في المعنى: الفاعلُ كما كان حين قلتَ : (قامَ زيدٌ) وكذلك إذا دخلت الألف واللامُ بدلاً من الذي قلت : (القائمُ زيدٌ) فالألف واللامُ قد قامتا مقامَ الذي و(قائم) قَدْ حَلَّ مقامَ (قامَ) وفي (قائمٍ) ضمير يرجع إلى الألف واللام والألفُ واللام هما

---

[1]. المقتضب : 4/ 78-79.

[2]. الأصول في النحو، لابن السراج : 69/1.

[3]. الأصول في النحو : 1/ 297.

زيدٌ... وكل اسم قيل لك أخبر عنه فحقه أن تنتزعه من الكلام الذي كانَ فيه وتضع موضعه ضميراً يقومُ مقامهُ ويكون ذلك الضمير راجعاً إلى الذي أو الألف واللام وإنما كان كذلك لأن كل مبتدأٍ فخبره إذا كان اسماً مفرداً في المعنى هُوَ هُوَ فإذا ابتدأتَ (بالذي) وجعلت اسماً من الأسماء خبره فالخبر هو (الذي) والذي هو الخبر وهذا شرط المبتدأ والخبر»[1].

هنا ابن السراج أراد أن يوضح تفسير العلاقة بين الموصول وضمير الصلة، كان التطابق كليًا بينهما، أي : في المعنى اسم الموصول هو نفسه في المعنى مراد ضمير الصلة، وما يدل عليه ضمير الصلة هو في المعنى ما يدل عليه الاسم الموصول فلهذا أطلق ابن السراج مصطلح (هو هو) في المعنى.

أما ابن جني فأوضح علاقة (هو هو) لبيان حقيقة الشيء، إذ قال : « أنت إذا قلت: ما أنت زيدًا، فله معنى غير معنى: ما أنت كزيدٍ، لأنك إذا قلت: ما أنت زيدًا، فإنما نفيت أن يكون هو هو، وإذا قلت: ما أنت كزيدٍ فإنما نفيت أن يكون مشبها له، ألا ترى أن من قال: أنا زيدٌ، فمعناه غير معنى من قال: أنا كزيدٍ، فكما كان الإيجابان مختلفين، كذلك يكون النفيان مختلفين، وهذا واضح.»[2].

في هذا النّص ابن جني يفرق بين جملتي (ما أنت زيدًا، وما أنت كزيدٍ) فالجملة الأولى لست مشبها لزيدٍ سواء أكان حقيقة أم صفة، أما الجملة الأخرى فليس هو مشبهًا بزيدٍ حقيقته (هو هو)، وإنما يشبهه في صفته، ثم ناظر ابن جني هاتين الجملتين المنفيتين بجملتين مثبتتين هما (أنا زيد، وأنت كزيدٍ) فالجملة الأول درجة التطابق كاملة فهو عين زيد أو هو هو حقيقة وذاتًا، والجملة الأخرى فهو يشبهه، وهناك فرق بين الشبه والحقيقة.

أما أبو القاسم السهيل (ت581هـ) فأوضح علاقة هو هو لبيان المطابقة بين النّعت والمنعوت، وبين الفعل والمفعول المطلق الذي من لفظ الفعل، إذ قال : « إن حكم النعت أن يكون جارياً على المنعوت في رفعه ونصبه وخفضه ؛ لأنه هو هو مع زيادة معنى»[3]، وقال : « فوضع الاسم المعين مكان الاسم المطلق تبيينا له، فعمل فيه الفعل، لأنه هو هو في المعنى، وليس بغيره. »[4].

أما عند ابن مالك (ت672هـ) فقد استعمل تركيب (هو هو) في تقدير المحذوف ؛ إذ وجّه البيت الشعري :

ونعم مزكأ من ضاقت مذاهبُه ونِعمَ مَن هو في سرٍّ وإعلَانِ

فذهب إلى أنه يجوز جعل (مَن) الموصولة فاعل (نِعم) الثانية، ويكون الضمير (هو) مبتدأ خبره محذوف تقديره (هو)، فيكون تقدير التركيب : ونعم مَن هو هو في سر وإعلان، أي: هو الذي شهر في سر وإعلان و(في) متعلقة بـ"هو" المحذوف لأن فيه معنى الفعل[5].

بيد أنّ ابن هشام الأنصاري قدّر التركيب (هو هو هو) فجعل (مَن) الموصولة ليست فاعلًا لـ(نِعم)، وإنما هي تمييز لفاعل (نِعم) المستتر، وعليه أن يقدّر المخصوص بتقدير (هو) لتقدّم ذكر (بشر بن مروان) في البيت الذي قبله هو :

وكيفَ أرهبُ أمراً أو أُراعُ بهِ وقد زكأتُ إلى بشرِ بنِ مروان

فكان تقدير التركيب المتعلق بالفعل الجامد : (هو هو هو) [6]

هو المقدرة (المخصوص المحذوف) + هو الظاهرة (مبتدأ) + هو المحذوفة(خبر المبتدأ).

---

[1]. المصدر نفسه : 2/ 270.

[2]. سر صناعة الإعراب، لابن جني : 304/1

[3]. نتائج النحو في الفكر، للسّهليّ : 163.

[4]. المصدر نفسه : 298.

[5]. ينظر : شرح الكافية الشافية، لابن مالك : 1110/2

[6]. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 2/ 97.

(نتائج البحث)

1- أن سيبويه كان دقيقا في وصفه هذه الظاهرة و تفسير درجات التطابق بين المبني والمبني عليه.

2- أن ظاهرة (هو هو) استمد فكرتها من القياس اللغوي وطبّق بما ترتضيه طبيعة اللغة.

3- بيّن سيبويه درجات التطابق بين المبتدأ والمبني عليه، وهي في ما يأتي :

- المبتدأ + المبني عليه (هو هو) = علاقة مطابقة، نحو : عبد الله منطلق.
- المبتدأ + المبني عليه (الآخر هو الأول) = علاقة التشابه أو الوصف، نحو : هو مني مزجرُ الكلب، وعهدي بي قريب وحديث.
- المبتدأ + المبني عليه (الآخر الأول) = علاقة احتواء (ظرف)، نحو : الليلةَ الهلالُ.

4- أوضح سيبويه درجات التطابق بين المنعوت والنعت، وهي ما يأتي :

-المبني (الذات) + المبني عليه (وصف ثابت غير متغيّر) = هو هو هو.

-المبني (الذات) + المبني عليه(وصف متغيّر بمنزلة الذات نفسه) = هو هو.

5- أن نحو سيبويه نحو علمي، أما النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه فكان نحوهم تعليميا.

6- منهج سيبويه يفسّر اللغة باللغة ؛ لذا كثرت عنده آليات التفسير في مفهومات مثلا : (المنزلة، وأجري مجرى، كما قالت العرب، وقع موقع، في موضع، كأنك قلت وكأنه يقول، وهذا تمثيل لم يتكلم به).

7- نظر سيبويه إلى اللغة من حيث استعمال المتكلم ؛ لذا نقول إن نحو سيبويه نحو وظيفي، أما النحاة الذين جاءوا بعده فنظروا إلى اللغة من خلال تقدير التركيب.

8- اختفاء درجات التطابق عند المتأخرين عمّا هو عند سيبويه (هو هو، الأول هو الآخر، الأول الآخر).

((روافد البحث))

- **القرآن الكريم.**
- الأصول في النحو، أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت316هـ)، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت
- أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد السيرافي (ت 368هـ)، تح : طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط1 1373 هـ - 1966 م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الانباري (ت577هـ)، تح : محمد محيي عبد الحميد
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق لجنة التراث العربيّ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1385هـ-1965م.
- التعريفات للسيد الشريف الجرجاني (ت817هـ) دار التأريخ، بيروت – لبنان.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة الأولى1421هـ- 2000م.
- سيبويه إمام النُّحاة، الأستاذ علي النجديّ ناصف، مكتبة النهضة، مطبعة البيان العربي، مصر 1373هـ-1953م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (ت368هـ)، تحقيق : د. حسين نصار، الجزء السابع، مط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة 2009.
- شرح الكافية الشافية، لأبي عبد الله جمال الدين بن مالك (ت672هـ)، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي، نشر في جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط1.

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت398هـ)، تح : أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان الملقب بـ(سيبويه)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار التأريخ، بيروت – لبنان.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تح : عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت (د.ت).
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور (711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر : عالم الكتب – بيروت.
- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، د. محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية، ط1 بغداد.
- نتائج الفكر في النَّحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: 1412 – 1992 م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن أمير سليم الباباني البغدادي (ت 1399هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تح : إحسان عباس، دار صادر – بيروت.